

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

العلاقات الليبية السودانية
(1969م-1989م)

د. هاجر أبو القاسم محمد الهادي
أستاذ مشارك/ جامعة أم درمان الأهلية-السودان



العلاقات الليبية السودانية (1969م-1989م)

ملخص

تشير معظم الدراسات التاريخية إلى أن العلاقات بين ليبيا والسودان نشأت منذ عهود الرومان قبل أن يصل العرب إلى شمال أفريقيا، وقد لعبت القوافل التجارية عبر الصحراء دوراً بارزاً في تطور العلاقات بين البلدين. فقد كانت العلاقات بين السودان وليبيا ضعيفة في فترة ما بعد الاستقلال إبان فترة النظام الملكي السابق الذي كان يعيش في عزلة تامة عن العالم العربي والأفريقي على الرغم من روابط الجوار الجغرافي والعروبة والإسلام حتى عام 1969م الذي شهد ميلاد نظامي حكم عسكريين في البلدين، وسرعان ما أظهر النظامان الجديدان تقارباً كبيراً بينهما بتأثير من الرئيس المصري جمال عبد الناصر عزّاب استراتيجياً القومية الوجودية العربية التي علقت عليها آمال عريضة استناداً على تكامل ثلاثة عناصر، الأيدي العاملة المصرية، والأراضي والموارد السودانية ورأس المال الليبي. تأرجحت بعد ذلك العلاقات بين البلدين، وفشلت الوحدة بسبب تناقض سياسات الدولتين الخارجية وصولاً إلى تدهور تام تمثل في الصراع المسلح أو دعم كل دولة لمعارضة الدولة الأخرى، واتهم الرئيس نميري وقوف القذافي وراء انقلاب يوليو 1976م "المرتزقة"، ثم تداعوا إلى الصلح مرة أخرى في اجتماع طرابلس يناير 1978م حيث توطدت العلاقات من جديد وبلغت ذروة تطورها بعد الانتفاضة الشعبية مروراً بمرحلة الديمقراطية، وبينما ظلت العلاقات السياسية في تأرجح بين البلدين، إلا أن العلاقات الثقافية والدينية ظلت تشكل تطوراً وازدهاراً في مختلف المراحل إذاً أن العلاقات بين الشعوب من أهم المرتكزات الأساسية التي تقف سداً منيعاً ضد الانحرافات السياسية الموجهة وفقاً للمصالح الفردية والدولية والمستقبل القريب سيشهد تحولاً كبيراً وموفقاً في العلاقات بين البلدين في كافة المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بعد إزالة كافة العراقيل كافة التي كانت تقف في طريق التكامل بين البلدين.

Abstract

Most historical studies indicate that the relations between Libya and Sudan started from the Roman era before the Arabs reach North Africa. Commercial caravans across the Sahara played a prominent role in the development of relations between the two countries.

Relations between the Sudan and Libya were weak in the post-independence period during the period of the former monarchy, which lived in total isolation from the Arab and African world despite the ties of geographical proximity, Arabism and Islam until 1969, when two military regimes collapsed in both countries. There was a great rapprochement between the two new regimes, influenced by Egyptian President Gamal Abdel Nasser, and his Arab nationalism strategy, which brought broad hopes based on the integration of three elements, the Egyptian labor, the Sudanese land and resources and the Libyan capital.

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

The relations between the two countries then fluctuated, and unity failed due to the contradiction of the policies of the two countries leading to total deterioration represented in the armed conflict or the support of each state to the opposition of the other state. President Nimeiri accused Gaddafi of being behind the July 1976 coup "mercenaries". Then they meet to try to agree together again in Tripoli, January 1978, where relations were re-established and reached the peak of its development after the popular uprising and the democracy stage in Sudan, and while the political relations between the two countries was swing and fluctuating, the cultural and religious relations – on the other hand- continued to be stronger and stronger as the relations between peoples stands as a strong barrier against political deviations directed against individual and international interests . The near future will witness a great and successful shift in relations between the two countries in all political, social and economic fields after the removal of all obstacles that were standing in the path of integration between the two countries.

المقدمة:

العلاقات السودانية الليبية التاريخية والسياسية والثقافية من الأهمية بمكان حيث تربط بينهما علاقات الجوار والحدود المشتركة والتداخل السكاني ، بالإضافة إلى أن هناك الكثير من التشابه والتقارب بين الأنظمة الحاكمة في بداية الفترة الزمنية التي تناولتها الورقة من 1969م حتى 1989م.

وكان هناك تعاون تام بين حكومة ثورة مايو في السودان وحكومة الفاتح من سبتمبر في ليبيا ، وتوج هذا التعاون بتوقيع ميثاق طرابلس في السابع والعشرين من كانون الأول 1969م إلا أن الأمور اتجهت فيما بعد إلى غير ما خطط لها نتيجة للظروف الداخلية للبلدين ، وظلت العلاقات متأرجحة تتقارب فتصل حد الدعم السياسي والعسكري، ثم تتباعد فتصل حد أن يقوم كل نظام بدعم المعارضة لكل دولة ، كما تأثرت بحركة العلاقات الدولية والعالمية آنذاك.

الإطار المنهجي للدراسة:

أولاً: أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أهمية العلاقة بين البلدين السودان وليبيا انطلاقاً من المقومات المشتركة ومدى تأثيرها بالأنظمة الحكومية المتعاقبة.

ثانياً: أسباب اختيار البحث :

جاء اختيار الباحث لهذا الموضوع لتبيين تأرجح العلاقة بين البلدين بالرغم من المقومات المشتركة بين الشعبين الشقيقين.

ثالثاً : أهداف الدراسة :

التعريف بالعلاقات التاريخية والسياسية والثقافية بين البلدين للوصول إلى إمكانية استقراء مستقبل هذه العلاقات ودراسة إمكانية نجاحها أو فشلها وتبيين العوامل المؤثرة في مسار هذه العلاقات.

رابعاً : مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في عدم وجود ثوابت في السياسة الخارجية للبلدين، إذ تتغير بتغير الأنظمة ديمقراطية كانت أم شمولية مما يؤثر كثيراً على العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية بين البلدين.

خامساً : منهجية الدراسة :

اتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي الوصفي التحليلي الذي يستند إلى عرض وتحليل المعلومات، والذي يتناسب مع هذا النوع من الدراسات. و اشتملت الدراسة على ست وحدات ،احتوت الوحدة الأولى على العلاقات التاريخية بين ليبيا والسودان في عهدي نميري والقذافي ،واحتوت الوحدة الثانية على الفكر الوحدوي بين ليبيا والسودان ،كما بينت الوحدة الثالثة فشل الوحدة بين البلدين ،كما تضمنت الوحدة الرابعة تناقض السياسات التي اتبعتها القذافي والنميري ،وناقشت الوحدة الخامسة بؤادر تعزيز العلاقات الليبية السودانية في مجال العلاقات السياسية والاقتصادية ، وفي مجال العلاقات الاجتماعية والثقافية ، كما تضمنت الوحدة السادسة الرؤى المستقبلية للعلاقات بين البلدين .

تمهيد:

تشير الدراسات التاريخية إلى أن العلاقات بين ليبيا والسودان قد نشأت منذ عهود الرومان قبل أن يصل العرب إلى شمال أفريقيا وعندما انتشر العرب على امتداد شمال أفريقيا وضعوا أيديهم على حركة التجارة عبر الصحراء وطوروها، وقد لعبت طرق القوافل بين شمال أفريقيا وجنوب الصحراء دوراً بارزاً في انتقال العرب إلى القارة حيث سهلت تلك الطرق في انتقال سكان برقة وطرابلس ووزان واجتيازهم الصحراء الكبرى والتوغل جنوباً حتى حدود الأقاليم الاستوائية، فكانت قوافل المسلمين التجارية تمر بتلك الطرق وأحياناً كانت تجلب معها مجموعات سكانية ونجحت في تأسيس مراكز تجارية في دارفور⁽¹⁾.

تربط بين الدولتين السودان وليبيا علاقات تداخل سكاني وحدود مشتركة بالإضافة إلى العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية⁽²⁾

وفي أواخر القرن التاسع عشر وقعت كل من الدولتين السودان وليبيا تحت سيطرة الاستعمار البريطاني والإيطالي ، وخلال فترة الوجود الأجنبي في الدولتين - كما هو أيضاً في معظم شمال أفريقيا وبقية دول العالم الثالث - فقد سعى الاستعمار وبكل الوسائل إلى طمس الثقافة الإسلامية والعربية ووضع العوائق والعراقيل أمام انتشارها ، وكانت بداياته أن قسم أفريقيا إلى مجموعتين شمال الصحراء وجنوبها أي جعل الصحراء حاجزاً بعد أن كانت جسراً للتواصل، فبريطانيا سعت وفق مبدأ سياستها المشهور بـ " فرق تسد" أن تعزل جنوب السودان وجبال النوبة عن الشمال العربي المسلم عندما استنتت قانون المناطق المقفولة والتي ما زالت آثاره موجودة حتى الآن ، وهو بذلك يسعى إلى صياغة إنسان أفريقي جديد لساناً و عقلاً ووجداناً وبعيداً كل البعد عن أي أثر إسلامي أو عربي.

سيطر الاستعمار الإيطالي على ليبيا وأصبح ذلك عازلاً بين المشرق العربي الذي كان يخضع للسيطرة البريطانية والمغرب العربي الذي كانت تسيطر عليه فرنسا مما جعل ليبيا فيما بعد حلقة الوصل بين شطري الوطن العربي في المشرق والمغرب. واستخدم الاستعمار الإيطالي في ليبيا والبريطاني في السودان نفس سياسة التقسيم بين السكان، حيث ميزت إيطاليا بين ولايات طرابلس وبرقة ووزان مما ترتب عليه قيام النظام الفدرالي في ليبيا بعد الاستقلال خلال الفترة من 1952م إلى 1963م، بينما مارست بريطانيا سياسة الفصل بين شمال السودان وجنوبه والذي أدى إلى ظهور حركة التمرد في جنوب السودان منذ عام 1955م⁽³⁾

وبالتالي فقد أثر كل ذلك على النواحي الثقافية في البلدين التي امتد تأثيرها إلى ما بعد الاستقلال، حيث حملت جميع بلدان الشمال الأفريقي بما فيها السودان وليبيا ثقافات متباينة من الفرنسية والإيطالية والبريطانية والإسبانية، ولذلك تأثرت العلاقات الثقافية لبلدان الشمال الأفريقي بما تركه الاستعمار من ذلك التغيير والتأثر.

الوحدة الأولى: العلاقات التاريخية بين ليبيا والسودان في عهد نميري والقذافي:

العلاقات التاريخية بين ليبيا والسودان في فترة ما بعد الاستقلال كانت ضعيفة بسبب انشغال كل من البلدين بترتيب أوضاعها الداخلية وتصفية آثار الاستعمار، ولذلك فإنه إبان فترة الحكم الملكي السابق في ليبيا أي في فترة ما بعد استقلال ليبيا في عام 1951م، فإنه لا يوجد ما يذكر في العلاقة بين البلدين نسبة لأن النظام الملكي في ليبيا كان يعيش في عزلة تامة ولم تكن

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

له أي اهتمامات لا بالعالم العربي ولا أفريقيا ولأنه لم تكن له أهداف يسعى لتحقيقها خارج حدوده لهذا اتسمت العلاقات التاريخية في هذه الفترة بالذات بالجمود والركود.

كذلك لم تكن العلاقات السودانية الليبية شيئاً مذكوراً على الرغم من أنهما دولتان جارتان وتجمعهما فضلاً عن عرى الجوار الجغرافي روابط العروبة والإسلام حتى عام 1969م الذي شهد ميلاد نظامي حكم عسكريين في البلدين، حيث ولد الأول في السودان بانقلاب 25 مايو 1969م بقيادة جعفر نميري، وجاء الثاني في ليبيا بعده بثلاثة أشهر من نفس العام في 1 سبتمبر 1969م بقيادة معمر القذافي (4).

وسرعان ما أظهر النظامان الجديدان تقارباً كبيراً بينهما على خلفية تأثرهما بزعامة الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر عراب العلاقات بين النظامين "النوريين" الجديدين اللذين ألهمتهما الشعارات القومية والوحدوية العربية، وتشير الدلائل إلى أن أصابع نظامه لم تكن بعيدة عن الإسهام في تدبير وتشجيع الانقلابيين، ولم تمض سوى أشهر قليلة حتى شكلت البلدان الثلاثة بزعامة مصر الناصرية محوراً وحدوياً عُلق عليها آمال عريضة في قيادة تحول في الساحة العربية ليس سياسياً فحسب، بل اقتصادياً كذلك استناداً على تكامل ثلاثة عناصر، الأيدي العاملة المصرية والاراضي والموارد الطبيعية السودانية ورأس المال الليبي (5).

أوجه الشبه بين النظامين:

هناك أسباب تاريخية وسياسية قادت إلى انقلاب مايو 1969م، كما أن الصراعات الحزبية والمصالح الشخصية كان لها دورها المتعاظم في عجز الحكومات المتعاقبة في حل المشكلات السياسية والاقتصادية (6) وبرزت مشكلة الجنوب التي ارتبطت بالجيش في ظل ضعف الإمداد والتسليح (7).

عند تسلم الرئيس جعفر نميري السلطة في السودان بعد الانقلاب العسكري في يوم 25 مايو 1969م، فقد كانت حكومته في بداية عهدها متطرفة في عداؤها للاستعمار والصهيونية وفي سعيها لتحقيق الوحدة العربية الشاملة وتأثرها بكل ما يصدر من الرئيس المصري جمال عبد الناصر، ولما كانت حالها هكذا تبنت أفكار الرئيس المصري جمال عبد الناصر حول ليبيا فظالما أن النظام فيها لا يرضي عنه جمال عبد الناصر فهم أيضاً كذلك، ومن هنا يتضح مسارعة الحكومة السودانية لتأييد ليبيا بعد إعلان عبد الناصر عن تأييده للثورة واستعداده للدفاع عنها واعتبر أن أي محاولة تدخل في شؤونها إنما هو اعتداء صارخ على مصر نفسها (8).

لقد تم التخطيط لانقلاب مايو منذ تشرين 1968م، وتم الاتفاق أن تكون شؤون السيادة من اختصاص مجلس قيادة الثورة وأن تشكل حكومة مدنية لإدارة الشؤون اليومية (9) وهياً للانقلاب تسعة من الضباط الأحرار (10) وقد ألقى النميري بيانه الذي وضع فيه أسباب الانقلاب أهمها إرساء قواعد سلام عالمي دائم أساسه التعايش السلمي (11).

وأعلن النميري عن تشكيل مجلس الثورة برئاسته ورفع نفسه إلى رتبة لواء وقائد أعلى للقوات المسلحة ووزيراً للدفاع (12) وأصدر أمراً بتغيير اسم السودان إلى جمهورية السودان الديمقراطية (13)، كما شكل وزارة ضمت شخصيات معروفة باتباعها السياسية (14)، وحددت الحكومة الجديدة التأكيد على الدور التحريري للسودان في أفريقيا والانفتاح الكامل على الأمة العربية

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وقضائياً ، وعلى الصعيد الخارجي تبني نظام سياسة ثورية قومية اتسمت بالانحياز للمعسكر الشرقي الاشتراكي.⁽¹⁵⁾

لقد اعترفت الحكومة السودانية بالثورة الليبية في اليوم الثاني لاندلاعها وقام المسؤولون السودانيون بدور كبير في مساعدة الثوار لتنظيم شئون ثورتهم ودعوا دول العالم لتأييد الثورة في ليبيا، واستمر الدعم للثورة أديباً وإعلامياً بوجه خاص بل سارعوا إلى إرسال مستشار عسكري لمجلس قيادة الثورة السوداني آنذاك العميد محمد عبد الحكيم وزير المالية السابق في نظام ثورة مايو ليقدم استشاراته لمجلس قيادة الثورة الليبي في الشؤون التنظيمية⁽¹⁶⁾.

وكان الانقلاب في ليبيا بقيادة الضباط الوجوديين في الجيش الليبي الذي عزل الملك محمد إدريس السنوسي وألغى الملكية وأعلن الجمهورية وسميت الجمهورية العربية الليبية ، برئاسة القذافي ورفاقه أعضاء مجلس الثورة⁽¹⁷⁾، واتخذت الجمهورية سياسة داخلية تقوم على التخلص من القواعد الأجنبية وإنشاء لجان شعبية تقوم بإدارة المؤسسات ، وغير ذلك من الإجراءات التنظيمية⁽¹⁸⁾. ونجحت الحكومة في رفع البلاد في جميع المجالات الاقتصادية بعد ظهور النفط⁽¹⁹⁾، وأقامت برنامجها الذي يتمحور حول ثلاث نقاط أساسية هي الحرية والاشتراكية والوحدة⁽²⁰⁾.

هنالك وجه شبه كبير بين النظام الليبي والسوداني، فكلاهما عسكريان استلما السلطة بواسطة انقلاب عسكري الذي صادف تردي الأوضاع الداخلية في كلا البلدين وكان الأمل معقوداً عليهما في النهوض بكلا البلدين بعد ما قاسى كلاهما من نيران الاستعمار.

كما كانت أهدافهما متطابقة بين الثورتين خاصة في معادتهما للاستعمار ومنادتهما بالوحدة العربية، واعتبارهما أن القضية الفلسطينية هي من أساسيات تحركاتهما الداخلية والخارجية، واستمرت العلاقات طيبة بسبب تلك الأهداف. والملاحظ أن حكومة الرئيس نميري قد انتهجت في بداياتها سياسات لتحسين علاقات السودان مع القوى الثورية العربية والأفريقية مع التركيز بصورة خاصة على الارتباط بالأمة العربية وتأييد القضية الفلسطينية، وأوضح وزير الخارجية السوداني ورئيس الوزراء في حكومة مايو في لقائه مع رؤساء البعثات الدبلوماسية بالسودان أن ارتباط السودان العربي لا يستبعد ارتباطه الأفريقي.⁽²¹⁾

الوحدة الثانية: الفكر الحدودي بين ليبيا والسودان:

أو محاولة تطبيق الوحدة:

بان للعيان أن حكومة السودان في عهد الرئيس نميري قد اعترفت بثورة الفاتح من سبتمبر 1969م في ليبيا منذ بدايتها، فقام وفد سوداني بقيادة مأمون عوض أبوزيد بزيارة ليبيا لتوثيق الصلات بين البلدين، كما أن لقاء القمة بين نميري والقذافي الذي تم في ليبيا في نوفمبر 1969م قد زاد من توثيق العلاقات بين البلدين، وعبر نميري عن تشابه الثورتين إضافة إلى روابط التاريخ والدم والدين التي تربط بين الشعبين السوداني والليبي، كما ناقش مع القذافي قضايا التعاون بين البلدين في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية، وأدت هذه العلاقات فيما بعد إلى لقاء طرابلس بمشاركة مصر مما ترتب عليه إعلان مشروع الوحدة الثلاثية بين البلدان الثلاثة المتجاورة، كما اعتبر هذا التقارب خطوة لصالح الوحدة العربية بشكل عام ولمصلحة البلدين الثلاثة بشكل خاص⁽²²⁾.

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

وبدأ التعاون يتخذ شكلاً سياسياً عندما قام الرئيس المصري جمال عبد الناصر والرئيس السوداني النميري بزيارة ليبيا بعد أن حضرا مؤتمر القمة العربية في الرباط، وقد استغرقت زيارتهما لليبيا خمسة أيام أجريا خلالها محادثات مع المسؤولين الليبيين، وحضرا عدة مؤتمرات شعبية، وتم عقد مؤتمر للاتحاد بين رؤساء الدول الثلاث⁽²³⁾ من أجل تحقيق التعاون والتكامل بين الدول الثلاث بما يعود بالمنفعة المتبادلة لشعوبهم⁽²⁴⁾.

وقد أدى اللقاء الثلاثي "السودان- مصر- ليبيا" في طرابلس في ديسمبر 1969م إلى إعلان "ميثاق طرابلس" وكانت هذه أول مناسبة لعمل وحدوي مشترك بين السودان وليبيا، وركز ميثاق طرابلس على أن ما حدث هو لقاء قوى ثورية كونت لنفسها جبهة عريضة تمتد من طرابلس للخرطوم عبر القاهرة لمواجهة التحديات وعلى رأسها العدوان الإسرائيلي على البلاد العربية، ومن ثم مساندة القضية الفلسطينية في نضاله ضد التوسع الإسرائيلي، وكذلك تم الاتفاق في لقاء طرابلس على عقد لقاءات دورية بين القادة الثلاث، وتكوين لجنة متابعة ولجان فرعية في مجالات الثقافة والإعلام والاقتصاد والسياسة⁽²⁵⁾.

وقد تم لقاء القادة الثلاث في القاهرة في فبراير 1970م بهدف التعاون في مجال السياسة الخارجية حيث تمت دراسة الوضع العربي الراهن آنذاك على ضوء المهددات الأمريكية والاستعمارية على الأمة العربية، كما تمت اتصالات أخرى لوضع التعاون في شتى المجالات المتفق عليها موضع التنفيذ⁽²⁶⁾.

ظلت العلاقات السودانية الليبية وطيدة وقد قامت ليبيا بدعم السودان في مختلف المجالات وخاصة الناحية الاقتصادية، وقد كان للدعم الليبي أفضل الأثر في تخطي العقبات الكثيرة التي صاحبت قرارات التأميم (قناة السويس - السد العالي). استمرت علاقات التعاون بين ليبيا والسودان رغم وفاة جمال عبد الناصر في عام 1970م وهو الراعي لهذا الاتحاد، وأعلنت عن تصميمها على السير في طريق الوحدة ومحاربة الاستعمار ومناصرة الفلسطينيين.

لعل أبلغ مثال يستدل به على قوة العلاقة ومثابرتها بين الدولتين في ذلك الوقت وبلوغ ذروة التعاون والتفاهم حين أقدم القذافي على الإسهام بفعالية من إحباط انقلاب قادة عسكريين في الحزب الشيوعي السوداني على نظام نميري، باعتقاله للمقدم بابكر النور رئيس المجلس الانتقالي الجديد، والرائد فاروق حمدالله، حين أجبر طائرة بريطانية كانت تقلهما في طريق عودتهما من لندن إلى الخرطوم غداة الانقلاب، عند مرورهما بالأجواء الليبية للهبوط فاعتقلهما وسلمهما للنميري الذي أعدهما ضمن آخرين في محاكمة عسكرية سريعة أعقبت عودته للسلطة بعد ثلاثة أيام من الانقلاب عليه⁽²⁷⁾.

فأثر ذلك السلوك من معمر القذافي في شل القوات الانقلابية والكوادر الشيوعية المدنية الذين كانوا ينتظرون مقدم بابكر النور وفاروق حمدالله (حمدنا الله) على أحر من الجمر فكان إلقاء القبض عليهما ضربة مميتة للحركة إذ أصبح النظام الجديد جسماً بلا رأس في الوقت الذي كانت فيه ليبيا تفعل ذلك نتيجة عن قناعة تامة إذ كيف تقف مكتوفة الأيدي إزاء تهديد لنظام يشاركها المبادئ والأهداف والنظرة إلى المستقبل.

وقد لاقت ليبيا في مقابل ذلك هجمات مسعورة من كل جانب في مساعدتها للرئيس نميري، فمن ضمن ما واجهها في ذلك أن قاطعتها شركة الخطوط الجوية البريطانية بسبب اعتقال ليبيا لقيادات الانقلاب الشيوعي الذين كانوا في طريقهم للخرطوم عبر ليبيا، ولكن ليبيا لم تأبه لذلك وقد كانت لهذه الخطوات الليبية نتائجها الفورية فقد رفعت معنويات القوات المسلحة السودانية⁽²⁸⁾.

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

الوحدة الثالثة: فشل الوحدة بين ليبيا والسودان:

أو تأرجح العلاقات بين ليبيا والسودان:

وعلى غير المتوقع لم تدم العلاقات الوثيقة بين القذافي ونميري طويلاً بعد هذه الحادثة على غير ما كانت تشئ به من تحالف متين بين النظامين، ويبدو أن الطبيعة الشخصية المتنافرة للرجلين أسهمت في توتر علاقاتهما لأسباب غير موضوعية، كما أن رحيل الرئيس عبد الناصر بعد فترة وجيزة من تأسيس التحالف الثلاثي لم يمنح الفرصة الكافية لتمتين أواصر التقارب، كما أن النميري لم يرتاح لادعاء القذافي الزعامة وتطلعه لخلافة عبد الناصر وتبوء مكانه.

في تقرير أجراه منصور خالد في عام 1973م يذكر فيه " ربطتنا بالشقيقة ليبيا أوثق الأواصر منذ اندلاع الثورتين في مايو وسبتمبر من عام 1969م، وانفتح القطران الشقيقان على بعضهما البعض انفتاحاً سياسياً كبيراً توجه " ميثاق طرابلس" كما نمت العلاقات التجارية والاجتماعية والثقافية بين القطرين الشقيقين، وتمت زيارات عدة متبادلة من المسؤولين في البلدين. ولكن رغم هذه العلاقات المتصاعدة فقد أدى اختلاف وجهات النظر حول بعض الأمور السياسية إلى فتور في العلاقات، مثل الاختلاف حول مفهوم الوحدة العربية، إذ يرى السودان أن أمثل الطرق لتحقيقها هو السير على هدى ميثاق طرابلس الذي يدعو إلى التنسيق والتكامل، وتجنب القفز على المراحل باعتباره السبيل الوحيد الذي يحفظ للسودان وحدة شعبه وترابه، وأن السودان القوي المتحد قوة لدعم وحدة الأمة العربية، هذا بالإضافة إلى اختلاف وجهات النظر حول القضايا الأفريقية الأخرى.⁽²⁹⁾

ولكن الحقيقة أن اختلاف النظم السياسية في السودان وليبيا تكون هي دائماً أساساً - إضافة إلى أسباب أخرى - لعدم الوفاق الودي، لذلك فإنه يصبح من دواعي كسب الزمن أن تعمل الدولتان على تطبيع علاقاتهما المصلحية والإقليمية بغض النظر عن الاهتمام بالشعارات السياسية، والالتزام بما يرتبط بتطبيق بنود الاتفاقيات المصلحية لأن أي التزامات ترتبط بالتمسك بالبرامج السودانية فإنها تؤدي حتماً إلى عدم الوفاق والتعاون المشترك.

الوحدة الرابعة: تناقض السياسات التي يتبعها القذافي والنميري:

أولاً: القذافي:

اتسمت السياسات الخارجية التي يتبعها القذافي بالتناقض الشديد خاصة فيما يخص السودان ونظامه السياسي وهو كما ذكرنا على واثم وتصالح معه فمن ذلك:

1. استضاف النظام الليبي المعارضة السودانية المسلحة المشكّلة من أحزاب الأمة والاتحاد الديمقراطي وجماعة الإخوان المسلمين وساعدها على محاولة فاشلة لغزو الخرطوم في يوليو 1976م.
2. تقديم أول دعم عسكري للجيش الشعبي لتحرير السودان (إن جازت التسمية) بقيادة جون قرنق الذي أهى اتفاقية أديس أبابا الموقعة في العام 1972م التي أوقفت الحرب الأهلية في جنوب السودان لنحو عقد من الزمان.
3. تورط ليبيا في انقلاب الخامس من سبتمبر 1975م الذي قاده المقدم / حسن حسين عثمان.
4. ازدهار العلاقة بين ليبيا والمعارضة السودانية التي تسمى بالجهة الوطنية السودانية مما أثار حفيظة شقيقه النميري.

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

ثانياً: النميري:

وقد اتسمت السياسات الخارجية التي اتبعتها النميري بالتناقض فيما يخص ليبيا ونظامها السياسي وهو أيضا على وئام معه ضمن ذلك:

1. انسحاب السودان من الوحدة الثلاثية في أبريل من عام 1971م، حيث أعلن الرئيس نميري انسحابه نسبة لانشغاله بمشاكله الداخلية ولجمع الصف الوطني وحل مشكلة الجنوب وهذا التبرير لم يكن مقنعاً للرئيس القذافي الذي اعتبر هذا السلوك من النميري نقض لما تصالحوا عليه.
2. قطع النميري علاقته مع ليبيا عند حدوث أزمة الطائرات الليبية وهو أنه قد نشب نزاع بين يوغندا وتنزانيا في عام 1972م فأرسلت ليبيا طائرتين عسكريتين لنقل أسلحة وذخائر للرئيس اليوغندي عيدي أمين وذلك لتحويله من صديق لإسرائيل إلى عدو لها. وقد عبرت هاتان الطائرتان المجال الجوي السوداني في طريقهما إلى كمبالا، فأجبرت الطائرات السودانية هاتان الطائرتان على الهبوط في مطار الخرطوم، وقد اعتبر نميري هذا السلوك من ليبيا هو تدخل في شؤون الغير وحاول إثارة الشعب السوداني.
3. ولما طالب الرئيس الليبي من السودان أن يدفع له ديوناً كان قد أخذها من ليبيا، فاستقل الرئيس نميري هذا الموقف الليبي ليحوّله إلى قضية قومية داخل الاتحاد الاشتراكي السوداني.
4. إتهام نميري ليبيا عندما قام الفلسطينيون باحتلال السفارة السعودية بالخرطوم واحتجاز عدد من الدبلوماسيين العرب والأجانب وأن ليبيا هي التي قامت بتدبير هذه العملية.
5. أصبح نميري يشن حرب دائمة ضد النظام الليبي وصار ينسب كل ما يحدث في السودان إلى مؤامرة أو تدبير ليبي، فبعد حركة حسن حسين الانقلابية اتهم الرئيس النميري في لقاء جماهيري ليبيا ووصفها بأنها الجهة التي دربت ومولت وسلحت الانقلابيين، كما وصف طرابلس بأنها المدينة التي يحج إليها الصادق المهدي وزعماء المعارضة الآخرين. كما كان الرئيس نميري قد وصف المهاجرين في 2 يوليو 1976م بأنهم مرتزقة تم تدريبهم في ليبيا لغزو السودان وأن بعضهم غير سودانيون.

الوحدة الخامسة: بؤادر تعزيز العلاقات الليبية السودانية:

أولاً: العلاقات السياسية والاقتصادية

يقول الصادق المهدي: " الرئيس نميري أدرك أنه لا يستطيع مواصلة العمل السياسي داخل السودان وأنه لن يستطيع كذلك أن يحافظ على وضعه مهما وجد من دعم مصري ما لم يواجه الأمر بأسلوب آخر، لذلك اتخذ أسلوب المصالحة الوطنية" وقد ارتبطت المصالحة باللقاء المهم بين الرئيس نميري والسيد الصادق المهدي في يوم 1977/7/7م في اجتماع بمدينة بورتسودان وتناول الاجتماع بحث كل القضايا التي أدت إلى الصراع الدامي بين السودانيين، وقد كان الاجتماع بمبادرة شخصية من الرئيس نميري، وقد تمخض عن ذلك الاجتماع المهم مشروع "المصالحة الوطنية"، وقد كان هنالك نصيب مذكور للعلاقات الليبية السودانية في أجندة ذلك الاجتماع التاريخي الذي انتقل بالسياسة السودانية من مرحلة الصراع المسلح والاقتتال إلى مرحلة الحوار.⁽³⁰⁾

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

وقد ركز السيد الصادق المهدي على أهمية تحسين العلاقات مع ليبيا ما دام النظام يسعى للتصالح داخلياً إذ قال : " والآن قبل أن نطرق أي موضوع آخر اعتقد أنه بالقدر الذي يتم فيه تعاض وتضامن وتصافي داخلي في السودان لابد من تصفية الآثار الخارجية للنزاع الداخلي وخاصة بالنسبة للعلاقات مع ليبيا وأثيوبيا". وعندما رد الرئيس نميري رداً فهم منه السيد الصادق المهدي بأن الرئيس نميري ما زال يعتقد أن ما تم في 2 يوليو 1976م إنما هو غزو قامت به ليبيا ضد الأراضي السودانية، رد عليه الصادق المهدي قائلاً: " وفي هذا الصدد أود أن أوضح أن ليبيا لم تكن هي المسؤولة عما حدث في الخرطوم العام الماضي بل كانت المسؤولة مسئوليتنا نحن وقد ساعدتنا ليبيا بالسلاح والمال والتدريب ولكن الرجال والتخطيط والقيادة والعزيمة كانت سودانية محضة، إننا وجدنا من الليبيين كل مساعدة في موقفنا والآن رحبوا بقرارنا أن نتصالح ولا يمكن أن تتم المصالحة بيننا ويستمر العداء بينكم.⁽³¹⁾

وقد أبدى الرئيس نميري ترحيبه بهذا الكلام واستعداده لإعادة العلاقات لتسير سيرها الطبيعي. قال الرئيس نميري: " إذا كنت متأكداً أنهم يرحبون بالمصالحة فإنني أقبل المصالحة معهم بل أذهب إلى أكثر من ذلك وأفوضك نيابة عني أن تتحدث إلى القذافي ل يتم الصلح بيننا".

ونتيجة لهذه الروح الطيبة في الحوار دخلت العلاقات السودانية الليبية مرحلة جديدة من التواصل. فالرئيس السوداني أبدى استعداده للتصالح مع الليبيين بل ذهب إلى أكثر من ذلك وفوض السيد الصادق المهدي للحديث مع القذافي لإكمال المصالحة بينهما⁽³²⁾.

أما من جانب ليبيا فبالرغم من عدم ثقتهم في النظام السوداني إلا أنهم لم يرغبوا التدخل في الشؤون الداخلية للسودان. فما دام السودانيون أنفسهم يريدون أن يفتحوا صفحة جديدة في مرحلة جديدة سمتها الديمقراطية داخلياً ونبذ المحاور والأحلاف خارجياً والاشتراكية اقتصادياً والإسلام فكرياً. وطالما كانت هذه سمات مرحلة الوثام والتصالح فليس أمام ليبيا إلا أن تقبل ذلك التوجه وتؤيده.

بدأت الخطوات جادة من أجل إعادة العلاقات إلى حالتها الطبيعية وتقويتها وقد عمل الصادق المهدي من أجل تقريب الشقة بين البلدين ففي عام 1978م تم اجتماع في طرابلس بين الصادق المهدي والعقيد القذافي وقد طلب السيد الصادق من الرئيس القذافي في بداية الاجتماع أن يحسنوا استقبال الوفد السوداني المتوقع وصوله إلى طرابلس وإن يظهروا له حسن النوايا وقد رد عليه الرئيس القذافي قائلاً: (أنا كنت قد يؤست من السودان ولكن ما سمعته من تصريحات نميري في لقاء المكاشفة الأخير بدأ يبشر بأن السودان ربما توجه توجهاً مستقلاً في سياسته الخارجية، على أي حال كنت قد استلمت خبراً عن مجي وفد سوداني ولكن "القرني" واستبائي لم أكن مستعداً لمقابلته ولكنني الآن ومن أجل حديثك سأقابله وسأتجاوب معه إن شاء الله.⁽³³⁾ وقد كان الوفد بقيادة أبو القاسم محمد إبراهيم النائب الأول لرئيس الجمهورية وقد وصل الوفد إلى طرابلس وكللت مساعيه بالنجاح وأعلن عن عودة العلاقات الطبيعية وكل مظاهرها من تبادل السفراء والوفود وتناسي الماضي والاكْتفاء بعبره وعظاته.

وقد توطدت العلاقة بين البلدين بسرعة وبدأت المؤسسات الاقتصادية في نفض الغبار عن المشروعات المشتركة التي جمدت نسبة للظروف الخلافية السابقة. وقد هيا لهذا التطور السريع في العلاقات انتهاج السودان في ذلك الوقت نهجاً حيادياً

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

معتدلاً وخاصة أثناء انعقاد مؤتمر منظمة الوحدة الأفريقية الخامس عشر الذي عقد في الخرطوم في يوليو 1978م، وبدأت أجهزة الإعلام السودانية تقوم بدورها الإيجابي في ذلك الحدث كما أنها دعمت تلك الجهود من أجل تنمية العلاقات الليبية السودانية، وقد كان الدكتور علي عبد السلام التريكي أمين الخارجية للجماهيرية نجم المؤتمر دون منازع وتفاعل الناس خيراً بفجر جديد في العلاقات الطيبة بين البلدين.

ومما يظهر موقف الرئيس نميري في إعادة العلاقات مع ليبيا تكليفه للسيد الصادق المهدي بالعمل على توطيدها وقد فوضه لهذا العمل وحتى تكون له الصفة الرسمية التفاوضية وافق السيد الصادق المهدي على إكمال إجراءات انضمامه للمكتب السياسي للجنة المركزية وعضويته في اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي، حيث تم له النجاح في مهمته وفتح الباب أمام عودة المعارضين السودانيين من ليبيا، كما أن ليبيا قد التزمت ببذل مساعيها الحميدة لدى الحكومة الأثيوبية لتأهيل المقاتلين السودانيين في المعسكرات الشرقية والذين كانوا يتبعون للمعارضة السودانية، كما وافقت ليبيا أيضاً على منح السودان قرصاً بترولياً كبيراً هذا بالإضافة إلى تسهيلات للمواطنين السودانيين العاملين في ليبيا⁽³⁴⁾.

ومن جانب الحكومة السودانية فقد أعلن الرئيس النميري في زيارة له بالقاهرة عن إطلاق سراح عشرة ليبيين قتلتهم تورطوا في أحداث يوليو 1976م التي قادتها المعارضة السودانية ضد نظام الرئيس نميري والتي قامن ليبيا بتدريب قواتها في أراضيها، كما أنها قدمت لها المساعدات المالية والعسكرية. وقد فعل الرئيس نميري هذا كتعبير عن حسن النوايا لتحسين العلاقات بين البلدين، وذكر أيضاً أن هنالك خطوات ستتم لإزالة العقبات التي أدت إلى تدهور هذه العلاقة، ثم جاءت خطوة أخرى عندما تم لقاء وزيرى خارجية البلدين في مؤتمر وزراء الخارجية العرب المنعقد في تونس في عام 1977م حيث تم الاتفاق على تطبيع العلاقات بين البلدين.⁽³⁵⁾

وتأكيداً لدعم وتطور العلاقات بين الشعبين السوداني والليبي يرى الطرفان ضرورة التمسك بالآتي:

1. أهمية ترسيخ وتدعيم العلاقات الودية الحميمة بين التنظيمين.
2. الدراسة والاطلاع على التجربة الشعبية في الجماهيرية الليبية وتجربة الاتحاد الاشتراكي السوداني بغرض الاستفادة المتبادلة.
3. تنظيم الحوار عن طريق اللقاءات الفكرية وتبادل الزيارات والمعسكرات دعماً للوحدة الفكرية في القضايا المصرية لأمتنا العربية.
4. مواصلة اللقاءات والزيارات الميدانية وتنسيق السياسات والمواقف المشتركة بين التنظيمات النظرية في القطرين الشقيقين.
5. يوصي الطرفان بالعمل على دعم وترسيخ خطوات التكامل الاقتصادي بين البلدين.⁽³⁶⁾
6. يقدر وفد الاتحاد الاشتراكي السوداني تقديراً كبيراً لإنجازات ثورة الفاتح من سبتمبر في كافة المجالات كافة ويشيد بمبدأ تسليم السلطة والثروة والسلاح للشعب.
7. يشيد الطرفان بالروح الأخوية التي سادت اجتماعات ولقاءات الوفدين ويؤكدان على مواصلة السعي والنضال من أجل تقرير الوحدة الشاملة.

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

وقع عن الجانب السوداني الدكتور محمد عثمان أبوساق رئيس وفد الاتحاد الاشتراكي السوداني وأمين لجنة الفكر والدعوة وعلى النظير الآخر وقع نيابة عن الجانب الليبي السيد بلعبد رئيس مكتب الاتصال العربي بالوكالة عن الأمانة العامة لمؤتمر الشعب العام.⁽³⁷⁾

وبعد هذا المؤتمر الناجح أكد السيد الدكتور حسن عابدين أمين لجنة العلاقات الخارجية وعضو الوفد المشارك تعبيراً وشكراً للسيد السفير السوداني بطرابلس عبد الماجد بشير الأحمدى بخطاب جاء فيه: يسعدني باسم الأخ خالد حسن عباس وأصالة عن نفسي أن أعبر لكم عن خالص الشكر بما قمتم به نحونا أبان الزيارة المؤقتة للجماهيرية الشقيقة ونشكر وتقدر لكم حسن الاستقبال العميق ووطنيتكم الصادقة في الاضطلاع بمسئولياتكم ، ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً لخدمة أمتنا.⁽³⁸⁾ ظلت بعد ذلك العلاقات السودانية الليبية وطيدة وقد قامت ليبيا بدعم السودان في مختلف المجالات وخاصة الاقتصادية، وقد كان للدعم الليبي أفضل الأثر في تحطي العقبات الكثيرة التي صاحبت قرارات التأميم ، وكانت حكومة الرئيس نميري قد تبنت النهج الاشتراكي في بداياتها وحتى عام 1971م وقد ترتب على علاقة نميري بالمعسكر الشرقي تأميم الصحف والشركات والبنوك ووضع قانون الإصلاح الزراعي والتي صاحبتها ضغوط اقتصادية.

ثانياً: العلاقات الاجتماعية والثقافية:

للصلات الدينية المتمثلة في النشاط الصوفي في ليبيا والسودان خلال القرن التاسع عشر دور بالغ الأهمية في العلاقة بين السودان وليبيا في تلك الحقبة والذي انعكست إيجاباً في دعم العلاقات الثقافية والاجتماعية بين البلدين، إذ أن الدعوة بالرجوع إلى أصول الشريعة الإسلامية من أهم أسباب توحيد الرؤى الدينية الصوفية في البلدين ممثلة في الدعوة السنوسية بليبيا والثورة المهديية في السودان وكلاهما سعت للتخلص من المستعمر وإبعاد العالم الإسلامي جميعاً من مظالم الأتراك ، وقد امتد نضال السنوسيين فيها إلى مناهضة الوجود الإيطالي في ليبيا لاحقاً ، ومن أبرز الدلائل على تلك الصلات والتقارب في الرؤى أن رشح المهدي قبل وفاته السيد السنوسي لخلافته بعد الخليفة عبدالله التعايشي وعلي ود حلو وجاء ترشيح السنوسي لخلافته بعد الخليفة عبدالله التعايشي وعلي ود حلو وجاء ترشيح السنوسي الخليفة الثالث ويلييه محمد شريف كخليفة رابع.

وعلى الرغم من أن السنوسي لم يعطي ذلك الترشيح والتكليف من قبل المهدي أي اهتمام إلا أنه يعتبر من أهم بدايات التقارب والعلاقة بين البلدين ثقافياً واجتماعياً وسياسياً ودينيّاً من خلال تاريخها السياسي.⁽³⁹⁾

كما أن الجهود التجارية وطرق القوافل قد أدت إلى استقرار بعض المجموعات الوافدة في بلاد السودان والتي تكون قد أسست إلى انتقال أثرها الثقافي والسياسي والاجتماعي بين المجموعات المحلية بالسودان، وتعتمد رواية أحمد المعقور ورحلته عبر الصحراء ثم استقراره في دارفور والدور البارز الذي لعبه في تعليم أهالي المنطقة الكثير من الأمور الحياتية اليومية من طريقة الأكل واللبس وانتهاءً بتنظيمهم للإدارة بالمنطقة، وقد تزوج أحمد المعقور بابنة السلطان المحلي وأنجب أبناء انتقلت إليهم السلطة في دارفور مثل سليمان سولونج.⁽⁴⁰⁾

فهذه الرواية تؤكد أن المجموعة الوافدة لها أعظم أهمية في العلاقات الثقافية والاجتماعية بين السودان وليبيا، إذ أنها نقلت إلى السودانيين في دارفور ثقافة جديدة غيرت في سلوكهم وثقافتهم عندما انتقلت إليهم السلطة.⁽⁴¹⁾

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

كذلك ارتبط السودان وليبيا بحركات مقاومة وطنية باسلة ضد الوجود الاستعماري إلى أن حصلت ليبيا على استقلالها بمساندة الأمم المتحدة، بعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية بتاريخ 1951/12/24م، بينما أعلنت الحركة الوطنية السودانية استقلال السودان من داخل البرلمان في ديسمبر 1955م وقد قامت علاقات سياسية وثقافية واجتماعية طيبة بين ليبيا والسودان على مدى عهود الحكومات الوطنية في السودان ابتداءً بعلاقتها منذ العهد الملكي في ليبيا ولكنها لم تكن واضحة أو مستمرة في بعض الأحيان.

وفي إطار العلاقات الثقافية بين السودان وليبيا في فترة الحكم الملكي فيها فقد مثل السودان السيد/ حسن عوض الله وزير التربية والتعليم السوداني في مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب الذي عقد في طرابلس ام 1966م وكانت فرصة مناسبة عرف خلالها ظروف السودانيين الذين يعملون بليبيا عامة، والمدرسين بصفة خاصة واستطاع أن يجتمع بالمستولين في ليبيا وأن يحصل على موافقتهم بتحسين شروط الخدمة والتصديق بمزيد من التسهيلات ورفع مرتباتهم وتعديل علاواتهم وبدلاتهم (42).

في عام 1968م قام رئيس الوزراء السوداني محمد أحمد محبوب بزيارة إلى ليبيا على رأس وفد ضم عدداً من الوزراء ووزير العدل الليبي. وفي إطار التعاون الثقافي والاجتماعي بين البلدين أدلى وزير التربية والتعليم الدكتور سيد أحمد عبد الهادي بتصريح لصحيفة اليوم الليبية قال فيه: " لقد أبدينا خلال زيارتنا هذه استعدادنا لوضع إمكانياتنا وخبرتنا الفنية من حيث وضع البرامج وتأليف الكتب المدرسية ونحن تحت تصرف وزارة التربية والتعليم الليبية في هذا الصدد" وأضاف يقول: " أن العلاقات الثقافية الآن تقتصر على إمداد المملكة الليبية بالمدرسين وأن الواجب يفرض علينا أن نضحي حتى بالذين نحتاج اليهم من المعلمين في السودان وإرسالهم إلى ليبيا إثارةً منا للعلاقات العظيمة الطيبة بين البلدين" (43)

واستطرد وزير التربية والتعليم السوداني يقول: " ونحن نأمل في أن تتوسع العلاقات الثقافية وسنحاول من جانبنا إرسال بعض الطلاب المؤهلين للدراسة بكليات الجامعة الليبية توثيقاً للعلاقات ، كما نرجو أن يتبادل البلدان البعثات الثقافية والفنية للتعرف على أحوال كل بلد ولإلقاء المحاضرات وإرسال الفرق الموسيقية والمسرحية والرياضية تعريفاً لأناء البلدين الشقيقين ببعضهما البعض". وأشار وزير التربية والتعليم السوداني إلى تطور النشاط التنظيمي في السودان وأضاف بأن التعليم في السودان ينقسم إلى عدة أقسام حيث هنالك مؤسسة لإحياء نور القرآن ومعاهد دينية وجامعة إسلامية تدرس فيها العلوم الشرعية واللغة العربية وأصول الدين والفقه. وينتشر التعليم على نطاق واسع يبدأ بالتعليم الأولي ومدته أربع سنوات والتعليم الأوسط ومدته أربع سنوات والثانوي ومدته أربع سنوات أيضاً ثم جامعة الخرطوم وبها كليات الطب والزراعة والبيطرة والهندسة والصيدلة والعلوم والآداب والحقوق ومعهد المعلمين العالي، كما أن هنالك أيضاً معاهد فنية لتخريج مهندسين ومعهد زراعي متوسط لسد احتياجات البلاد ، بالإضافة لجهود الوزارة في الاهتمام بمحو الأمية.

وتعد زيارة الوفد السوداني برئاسة وزراء السودان محمد أحمد محبوب إلى ليبيا دعماً حقيقياً للعلاقات السودانية الليبية في كثير من المجالات وكان أكثرها نجاحاً هو تقوية أواصر التعاون الثقافي بين ليبيا والسودان من خلال مباحثات هذه الزيارة والتي تظهر الاستفادة منها في تبادل الخبرات بين البلدين.

وعندما قامت الانتفاضة الشعبية في السادس من أبريل 1985م قام وفد من المجلس العسكري الانتقالي إلى الجماهيرية في أبريل 1985م والتقى الوفد بالرئيس الليبي معمر القذافي وعدد من المسؤولين الليبيين وتمت إعادة العلاقات بين البلدين، بعد

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

أن كان يشوبها في أحيان كثيرة توتر مستمر لأسباب متنوعة ومختلفة وأختير عبد الماجد بشير الأحمد ليكون سفيراً للسودان في ليبيا.

وقام الوفد بعقد عدد من الاتفاقيات في كل المجالات وحظيت العلاقات الثقافية والاجتماعية ببرنامج ثقافي اجتماعي التزمت فيه ليبيا بألف منحة دراسية للطلاب السودانيين، وفي ذات الوقت كان عدد الطلاب المقيمين ليبيا في تلك الأثناء حوالي ألفين وخمسمائة طالب وطالبة. (44)

ومع بداية فترة الديمقراطية التي أعقبت الفترة الانتقالية 1985م وخاصة بعد تسليم السيد الصادق المهدي للسلطة بدأت فترة مميزة من العلاقات الوطيدة في الميادين المختلفة وخاصة الثقافية بين السودان وليبيا ويرجع ذلك إلى العلاقات السابقة إبان تواجد المعارضة السودانية بقيادة الصادق المهدي بليبيا والى عمل الرئيس القذافي على دعمها للإطاحة بنظام الرئيس نميري. وقد حظيت العلاقات الثقافية بين البلدين بتطور ملحوظ إذ فتحت ليبيا فرصة واسعة لمئات الطلاب السودانيين في الجامعات الليبية. (45)

وإذا أردنا أن نلخص ما ذكرناه آنفاً فإن العلاقات الثقافية والاجتماعية بين ليبيا والسودان قد تميزت بالتعاون المثمر في بدايات العهد الوطني لكل من ليبيا والسودان بعد أن نالا استقلالهما، وتعتبر من أزهى الفترات في تطور العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية بين البلدين هي فترة العهد الملكي في ليبيا.

ولكن بعد وصول العقيد معمر القذافي إلى السلطة في ليبيا تحول ليبيا إلى النظام الجماهيري ثم ظهور الكتاب الأخضر الذي يحمل نظريات جديدة لنظم الحكم وهو ما أسماه القذافي بالنظرية العلمية الثالثة التي تقوم أساساً على حكم الشعب لنفسه عن طريق المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية والتي تناوى الرأسمالية التقليدية في أمريكا وهذا يقود إلى اختلاف السياسة والمفكرين عليها مما يؤثر في الجوانب الأخرى، فتتباعد الشقة بين البلدان وتتأثر الثقافة سلباً بذلك.

الوحدة السادسة: الرؤى المستقبلية للعلاقة بين السودان وليبيا:

ذهاب المشير جعفر نميري وانتهاء دور القذافي بغيابه الدرامي يشكلان العاملين المتغيران الأكثر أهمية في تشكيل مستقبل العلاقات الليبية السودانية بعد أن تعرضت في السنين الغابرة إلى مواقف متناقضة من كليهما تتأرجح بين التقارب والتحالف أحياناً والعداء الظاهر والمستتر في أغلب الأحيان. وكانت العلاقات تتأثر إلى حد كبير بالطبيعة الشخصية المتقلبة للرئيس القذافي والنميري، فغيابهما سيضع على الأقل نهاية لحالة عدم الاستقرار مما يتيح فرصة الحوار الجدي حول بناء أسس جديدة مستقبلية بين البلدين وثمة عوامل عديدة لا تزال تطوراتها تتفاعل ومن نتائجها أن تلعب دوراً حاسماً في رسم واقع جديد للعلاقات الليبية السودانية.

فمن العوامل المؤثرة على مستقبل العلاقات السيناريو النهائي الذي سترسمه الثورة الليبية من ناحية قدرتها على بسط سيطرتها الأمنية والعسكرية على كامل ليبيا، لأن استمرار أي نفوذ لعناصر تابعة لفلول القذافي في المنطقة ستحاول زعزعة استقرار الوضع الجديد وهذا بدوره يؤدي إلى زعزعة الأوضاع في السودان.

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

ومن المتغيرات التي واكبت سقوط نظام القذافي تلك المرتبطة بمصير تحالفاته الإقليمية مع بعض دول الجوار السوداني والتي ظل يوظفها لصالحه مع الحكم في الخرطوم، فقد ارتبط بعلاقات مع تشاد ويوغندا وإريتريا وكان يدعمهم رغم البعد ليؤثروا في الوضع داخل السودان، فغياب القذافي وفقدان دعمه سيؤدي إلى تراجع تدخلات حلفائه الإقليميين في الشؤون السودانية. ومتغير مهم آخر يركز على طبيعة النظام السياسي الذي سيتم تأسيسه في ليبيا وكيف سيحدد خياراته الاستراتيجية وسياساته الخارجية وتوجهاته نحو جيرانه.

ومن العوامل المحددة لمستقبل العلاقات الليبية السودانية تلك التي تتعلق بالمدى الذي سيصله المجتمع الدولي عموماً، ودور حلف الناتو والغرب على وجه الخصوص إذا وضعنا في الاعتبار استحقاقات الدعم الذي قدمه إلى الثورة الليبية والدور الذي لعبته في نجاحها في التأثير على تشكيل مستقبل الأوضاع في ليبيا وتوجهاتها السياسية الجديدة، وهو أمر ذو أهمية خاصة ستعكس على طبيعة العلاقة المستقبلية بين الخرطوم وطرابلس في ظل علاقات السودان المتوترة مع الدول الغربية التي تفرض عقوبات وضغوطاً متفاوتة على نظام الحكم في الخرطوم، سواء بشأن الوضع في دارفور أو بسبب العلاقة الملتبسة مع دولة جنوب السودان.

فالدول الغربية ظلت تحسن بفعالية توظيف الدول الأخرى التي تحتفظ معها بعلاقات وثيقة في تكثيف الضغوط على الخرطوم التي ظلت تعاني من حصار شبه مستمر. ومن الراجح أن يسعى النظام السياسي الجديد في ليبيا إلى توثيق صلاته مع الغرب من أجل مصالحها الجديدة، وأن تكون حتى لو لم تتعرض إلى ضغوط غربية مباشرة متحمسة لإقامة علاقات وثيقة مع الخرطوم إلى درجة قد تؤثر سلباً أو تكون خصماً من مصالحها، وما يزيد من صحة هذا الفرض أن النظام الجديد في ليبيا لن يكون حريصاً على الاحتفاظ بإرث اهتمامات القذافي وأجندته الأفريقية ومن ضمنها السودان، بسبب التعقيدات والتكلفة السياسية والاقتصادية بتبعاتها التي شكلت عبئاً كبيراً على ليبيا، وأتت الفرصة السانحة التي تتخلص من هذه الأجندة.

ومن أهم تداعيات وتبعات النهج الذي أنهى حكم نظام القذافي - وأنهى نظام حكام عرب آخرين - في المنطقة وعلى السودان على وجه الخصوص في ظل استمرار أزماته السياسية والاقتصادية المستفحلة وعلاقاته المتوترة مع الغرب، أنها أرست سابقة تشكل خطورة محتملة على حكم البشير، والمقصود هنا الشرعية الأخلاقية والسياسية التي اكتسبها نموذج الثورة الشعبية المحمية بنظام دولي وتدخل عسكري مباشر من حلف الناتو الذي نجح في إنهاء حكم القذافي وهو تحالف غير مسبوق حظي بالقبول لأول مرة ولم يعد محل مقاومة عند شعوب المنطقة التي كانت توجس وتعارض التدخلات الأجنبية، وهو تحول استراتيجي في المفاهيم والحسابات السياسية والمستقبل القريب سيشهد تحولاً كبيراً مثمراً وناجحاً وموفقاً في العلاقات الليبية السودانية في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية كافة بعد إزاحة كافة المعوقات والعراقيل التي كانت تقف حجر عثرة في طريق التكامل بين البلدين الشقيقين.

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

الخلاصة:

- مقومات ارتباط الشعبين السوداني و الليبي الدينية والثقافية تمثل الأساس المتين للعلاقات بين الدولتين .
- يظل الارتباط التاريخي والتداخل السكاني والتطلعات المشتركة هي حجر الزاوية الذي تتحطم عليه كل محاولات الانظمة لتشتيتها .
- تذهب الحكومات والأنظمة وتتغير بينما تظل الروابط الشعبية راسخة كالجبال.
- الانشغال بالصراعات الحزبية ينعكس سلباً على الاستقرار في العلاقات الخارجية .
- تبنى العلاقات بين الدول على أساس الأهداف والرؤى والمصالح المشتركة ، وهي متوفرة في العلاقات بين السودان وليبيا.
- تأرجح العلاقات بين الأنظمة والحكومات يؤدي إلى عدم الاستقرار في العلاقات الخارجية .

التوصيات:

- يجب النظر بجدية مع سلامة النية لتدعيم وتطوير العلاقات الودية الحميمة بين الشعبين الجارين الليبي والسوداني.
- الرغبة الحادة في تنظيم الحوار عن طريق اللقاءات الفكرية وتبادل الزيارات والمعسكرات دعماً للوحدة الفكرية في القضايا المصرية لأمتنا العربية.
- القيام بالدراسة والتحليل على التجربة الشعبية في الجماهيرية العربية الليبية (اللجان الثورية) وتجربة (الاتحاد الاشتراكي) السوداني بهدف الاستفادة من تجارب الماضي.
- ضرورة ترسيخ وتدعيم العلاقات الودية في المستقبل القريب بين التنظيمين السوداني والليبي.
- القناعة التامة بين الطرفين بعدم تدخل القوى الأجنبية في الشؤون الأفريقية والعربية ويؤكدان قدرة أفريقيا والأمة العربية على حل مشاكلها وأزماتها بنفسها.
- الأخذ في الاعتبار أهمية المصالحة الوطنية والدور الذي تقوم به في حل القضايا الأفريقية.
- يدين الطرفان التدخل الاستعماري أو الأجنبي في الشؤون الأفريقية والعربية ويؤكدان قدرة الشعوب في حل مشاكلها.
- ضرورة وضع ثوابت للسياسة الخارجية لا تتغير بتغير الأنظمة مع الانفتاح وكسب ثقة شعبي الدولتين.

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

هوامش البحث

1. التجاني مصطفى الصالح، الصلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين ليبيا والوطن العربي، د ت، د ط، ص 167.
2. ماجد محي الدين عباس، النظام السياسي في السودان (1958-1994)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، بغداد، 1996م، ص 69.
3. مجلة الدراسات الاستراتيجية، العدد الخامس، يناير 1996م، المد والجزر في العلاقات الأفريقية والعربية، ص 47.
4. خالد التيجاني النور، مركز الجزيرة للدراسات، العلاقات السودانية الليبية، صراع الماضي وتقارب المستقبل، تقارير، 23 أكتوبر 2011م، ص 2.
5. المرجع نفسه، ص 3.
6. ماجد محي الدين عباس، مرجع سابق، ص 70.
7. تقرير عن السودان، قسم الوثائق والمكتبات، أرشيف مكتبة حركة الوفاق الوطني، ص 5.
8. تيم نبلوك، صراع السلطة والثروة في السودان منذ الاستقلال وحتى الانتفاضة، ترجمة الفاتح التيجاني، ط 2، دار الخرطوم للطباعة والنشر، 1994م، ص 228.
9. دار الوثائق القومية؛ 1/1/3، قسم الإدارة الأفريقية، سياسة السودان الخارجية.
10. لطفي جعفر فرج، جعفر محمد نميري، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية، الجامعة المستنصرية سلسلة شخصيات وتراجم، رقم 3، بغداد 1985م، ص 10-12.
11. حسن محمد جوهر وحسين حسن مخلوف، السودان أرضه - تاريخه - حياة شعبه، دار الكتب الخرطوم 1970م، ص 228.
12. الدار العربية للوثائق، ملف العالم العربي، الوثيقة رقم 670، يونيو 1977م.
13. أزيد محمد سعيد، الانقلابات العسكرية في العالم الثالث (1946م - 1991م)، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد، 1995م، ص 75.
14. محمد سعيد محمد الحسن، عبد الناصر والسودان دار مدلايت المحدودة للنشر، القاهرة 1990م، ص 108.
15. تيم نبلوك، مرجع سابق، ص 219.
16. دار الوثائق القومية؛ 1/1/3، مرجع سابق.
17. محمد بوذينة، أحداث العالم في القرن العشرين (1960م - 1969م)، منشورات محمد بوذينة، تونس، 2001م، ص 395.

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

18. رأفت الشيخ ، تاريخ العرب المعاصر ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر، 1996م، ص130.
19. اسماعيل أحمد ياجي ، تاريخ العالم العربي المعاصر، مكتبة العبيكان ، الرياض ، 2000م، ص337.
20. عمر الطاهر ، القذافي والثورة الفرنسية (1789-1969م)، دار الملتقى بيروت ، 1996م ، ص240.
21. دار الوثائق القومية؛ 1/1/3، مصدر سابق.
22. دار الوثائق القومية؛ مؤتمرات 1547/94/1، ورقة قدمها / عبدالمجيد بشير الأحمدى- سفير سابق بلبيبا- في ندوة علاقات السودان الخارجية، في قاعة الشارقة بجامعة الخرطوم في الفترة من 10-13 مارس 1990م، الخرطوم، ص31.
23. سعد الدين ابراهيم وآخرون ، مصر والعروبة وثورة يوليو، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1982م ص250.
24. حسن الفكهاني المحامي ، موسوعة جمال عبد الناصر ، الجزء الأول ،الدار العربية للموسوعات ،القاهرة ، 1972م ص163.
25. سعد الدين وآخرون ، مرجع سابق ، ص350.
26. دار الوثائق القومية؛ مؤتمرات 1547/94/1، ص32.
27. مركز الجزيرة للدراسات، العلاقات السودانية الليبية، صراع الماضي وتقارب المستقبل، خالد التجاني النور، تقارير، 23 أكتوبر 2011م، ص3.
28. دار الوثائق القومية: مؤتمرات 1516/93/1، مؤتمر الدبلوماسية السودانية (إعادة السودان إلى موقعه السابق في منظمة شمال أفريقيا) قاعة الصداقة ، الخرطوم من 7-10 ديسمبر 1989م، ص22.
29. منصور خالد ؛ تقرير وزير الخارجية حول سياسة السودان الخارجية بتاريخ 1973/7/5م، وزارة الخارجية، الخرطوم، 1973، ص40.
30. علاقات السودان السياسية والثقافية مع شمال أفريقيا 1958م-1985م، إعداد الطالب : فتح الرحمن الطاهر عبد الرحمن، إشراف محمد الأمين سعيد، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ، قسم التاريخ، يناير 2011م، ص19.
31. الصادق المهدي: المصالحة الوطنية السودانية من الألف للياء، إصدار الحركة الإسلامية الوطنية، الخرطوم 1978م، ص32-30.
32. الصادق المهدي: المصالحة الوطنية، مرجع سابق، ص23.
33. حسن سيد سليمان، السودان والمغرب العربي، دراسة حالة العلاقات السودانية الليبية، سلسلة الدراسات السودانية رقم (17)، معهد الدراسات الأفريقية، جامعة الخرطوم 1991م، ص33-45.
34. عبد المجيد بشير الأحمدى، ندوة العلاقات الخارجية، ص27.
35. سمية سيد: المصالحة الوطنية: الدار الحديثة للطباعة والنشر، الخرطوم 1995م، ص23.

العدد الواحد والخمسون / أبريل / 2021

36. وزارة الخارجية: البيان الصادر عن لقاء وفد الاتحاد الاشتراكي السوداني ومكتب الاتصال العربي بالأمانة العامة لمؤتمر الشعب العام بليبيا، 18/6/1978م، ص 2.
37. وزارة الخارجية: تقرير اللواء خالد حسن عباس، عضو المكتب السياسي ورئيس الوفد 1978، ص 1.
38. حامد عثمان أحمد: علاقات السودان الخارجية (البعد العربي الأفريقي) معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، سلسلة الدراسات السودانية رقم (17)، دار جامعة الخرطوم للنشر 1991م، ص 247.
39. التيجاني مصطفى صالح، مصدر سابق، ص 168.
40. صولونج: تعني في لغة الفور "العربي".
41. صحيفة اليوم "الليبية" السنة الأولى، العدد 81، الجمعة 23 أغسطس 1968م، ص 1.
42. دار الوثائق القومية/ مؤتمرات 1547/94/1، مصدر سابق، ص 29.
43. صحيفة اليوم "الليبية"، مرجع سابق، العدد 81.
44. دار الوثائق القومية؛ مؤتمرات 1547/94/1، ندوة علاقات السودان الخارجية، مقدمها السفير السوداني السابق بليبيا عبد الماجد بشير الأحمد، الخرطوم مارس 1990م، ص 6.
45. دار الوثائق القومية/ مؤتمرات 154/94/1، مصدر سابق، ص 7.